ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:**08**، العدد: **(2023)01** ص: **297 - 305**

البعد التّصوري في الدّرس النّحوي العربي"التّأويل ومظاهره"

The conceptual dimension of the Arab grammatical lesson "interpretation and aspects"

أحمد لعويجي*

جامعة محمد بوضياف–المسيلة-(الجزائر)

البريد الالكتروني: **ahmed.laouidji@univ-msila.dz**

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/12/27
تاريخ القبول:
2023/01/17
تاريخ النشر:
2023/03/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **مبدأ الوصفية.**
- ✓ **النظام اللغوي.**
- ✓ **البعد التصوري.**
- ✓ **المعنى الفلسفي.**
- ✓ **التأويل.**

الملخص:

على الرّغم من مبدأ الوصفية الّذي اعتمده نحاتنا الأوائل في وصف لغتهم، وبناء قاعدتها النحوية، والّذي اعتمد بالأساس في انطلاقته على قواعد وأسس شكلية- وصف الظاهرة اللغوية كما هي؛ بما فيها من تصنيفات لصيغها، وما يمكن أن تؤديه هذه الصيغ والأبنية وفق النّظام اللّغوي، وما يربط بين أجزائه من علاقات ونظم نحوية خاصة باللغة العربية- غير أنّهم خرجوا عن هذا المبدأ في كثير من المسائل التي لم يكن للجانب الحسّي-الشّكل- قدرة على تفسيرها حسب ما يقتضيه علم النحو؛ فلجئوا إلى التخمين والظنون- البعد التصوري- أو ما يسمى بالمعنى الفلسفي في حلّ إشكال-عدم مطابقة الظاهرة اللغوية للقاعدة النحوية- فاعتبروا التّأويل والتّقدير أساسًا فرضوا به القاعدة على النص.

Article info

Received
27/12/2022
Accepted
17/01/2023

Keywords:
- ✓ *the description principle*
- ✓ *the conceptual dimension*
- ✓ *the philosophical meaning*
- ✓ *interpretation*

Abstract :

The description principle, followed by the ancient grammarians in describing their language and constructing its grammatical basis, is mainly relied on formal basses and rules. It describes the linguistic phenomenon as it's; including its formulations' categories and what these formulations and constructions can perform, according to the linguistic system and the relationships and grammatical systems linking its parts. They deviated from this principle in many issues in which the emotional and the formal sides haven't been able to interpret, according to grammar. They followed the conceptual dimension known as the philosophical meaning, which is based on guessing in solving an issue. The linguistic phenomenon isn't identical to the grammatical rule, so interpretation and estimation have been considered as a basis through which the rule is imposed on the text.

*المؤلف المرسل

1.مقدمة:

تميّزت الدّراسات اللّغوية في القرن العشرين باعتماد المادة اللغوية أساسًا للوصف، فدرست المنتج اللغوي وفق الصورة التي هو عليها-الشكل- دون مراعاة ما وراء هذه الأشكال اللغوية من خلفيات ذهنية، أو تصورات فلسفية أسهمت بشكل أو بآخر في إنتاج المنجز من الكلام؛ بمعنى أنّها حيّدت البحث فيما وراء الشكل من الظاهرة اللغوية.

لكن المتأمل للدرس النحوي العربي، وما تميز به منذ انطلاقته؛ إذْ اعتمد مبدأ الوصفية في بناء قاعدته النحوية؛ ويتجلّى ذلك الصرامة التي اعتمدها اللغويون الأوائل في جمع المادة اللغوية من أفواه الناطقين بها، وما فرضوه من شروط في الأخذ؛ فحدّدوا زمانه ومكانه، ومن يؤخذ عنه من العرب دون غيره على الرغم من المآخذ التي انجرّت عن ذلك. ثم صنّفوا ما جمعوا، واستنبطوا قواعد اللغة من ملاحظاتهم لِمَا اعتمده العربي في منطوقه.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا الموضع؛ هل تمكن النحوي العربي من الاستغناء عن العمليات العقلية، والتصورات الذهنية التي تسبق تشكيل الصورة اللفظية في بناء القاعدة النحوية؟ بمعنى: هل اكتفى هذا النحوي بالصورة اللفظية فقط في بناء القاعدة النحوية؟ فإذا كان الجواب: بنعم. فكيف يمكن له أن يتعامل مع الدلالات والمعاني المختلفة التي تؤديها الرموز اللغوية، والتي يقرّها النظام اللغوي المتعارف عليه (العرف الاجتماعي)؟ وهل يمكن له أن يبقى حبيس الدلالات المعينة لهذه الرموز اللغوية في بنائه للدرس النحوي؟ ثم ما مصير كثير من المسائل النحوية التي يعجز الشكل على أن يفسّرها وفق القاعدة النحوية-بنيتها لا توافق القاعدة النحوية-؟ هل يفتح باب التأويل والتقدير في تفسيرها واخضاعها للقاعدة النحوية؛ وبالتالي فرض النص على القاعدة؛ ممّا يُغلب الطابع الظّني، والبعد التّصوري في التّحليل والتّفسير؟

وإذا كان الجواب: بلا. فما الحيّز الذي تحتله العمليات العقلية، والتصورات الذهنية التي تَحْدث في ذهن المتكلم في الدّراسات اللّغوية قبل إنتاج الكلام؟ وما الدّور الذي يمكن للتّأويل أن يلعبه في ربط المنجز اللّغوي بالقاعدة النّحوية.

2-مفهوم التأويل:

2-1-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور(711ه)« ... وَأَوَّلَ الْكَلَامَ وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ، وَقَدَّرَهُ، وَأَوَّلَهُ وَتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ... قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُوَ مِنْ آلَ الشَّيْءُ يَئُولُ إِلَى كَذَا أَيْ رَجَعَ وَصَارَ إِلَيْهِ وَالْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ نَقْلُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ الْأَصْلِيِّ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لَوْلَاهُ مَا تُرِكَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ... وَفِي حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعُرْوَةَ مَا بَالُ عَائِشَةَ تُتِمُّ فِي السَّفَرِ يَعْنِي الصَّلَاةَ؟ قَالَ: تَأَوَّلَتْ كَمَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ؛ أَرَادَ بِتَأْوِيلِ عُثْمَانَ مَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَمَّ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ فِي الْحَجِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَوَى الْإِقَامَةَ بِهَا... وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَهُوَ تَفْعِيلٌ مِنْ أَوَّلَ يُؤَوِّلُ تَأْوِيلًا، وَثُلَاثِيُّهُ آلَ يَئُولُ أَيْ رَجَعَ وَعَادَ. وَسُئِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَنِ التَّأْوِيلِ فَقَالَ: التَّأْوِيلُ وَالْمَعْنَى وَالتَّفْسِيرُ وَاحِدٌ. قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: يُقَالُ أُلْتُ الشَّيْءَ أَؤُولُهُ إِذَا جَمَعْتَهُ وَأَصْلَحْتَهُ ... وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَيْ جَمَعَهُ...وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمُضِلِّ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَيْ رَدَّ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ وَجَمَعَهَا لَكَ. وَيُقَالُ: تَأَوَّلْتُ فِي فُلَانٍ الْأَجْرَ إِذَا تَحَرَّيْتَهُ وَطَلَبْتَهُ. اللَّيْثُ :التَّأَوُّلُ وَالتَّأْوِيلُ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ الَّذِي تَخْتَلِفُ مَعَانِيهِ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا بِبَيَانٍ غَيْرِ لَفْظِهِ...» (ابن منظور،2002. مادة"أول")، فالتأويل في اللغة وِفق ما ورد في هذا النص، هو:

التّدبّر والقدرة؛

التّفسير؛

الرّجوع والصّيرورة؛

النّقل؛

الرّجوع والعودة؛
المعنى؛
الجمع والاصلاح؛
الرد؛
التحري والطلب.
والتأويل في الأصل: الترجيع.(الجرجاني، 2007. ص90).

2-2-مصطلح التأويل في مصادر اللغة:

ا-في القرآن الكريم:

لقد وردت لفظة(التأويل) في كتاب الله عزّ وجلّ في عدد من سوره، عدّها بعضهم: سبع سورٍ، منها:

- قول الحقّ تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران:7] وقد ورد في تفسير هذه الآية«...أنزل عليك يا محمد القرآن العظيم﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي فيه آيات بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها ولا غموض كآيات الحلال والحرام، هن أصل الكتاب وأساسه﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ أي وفيه آيات أُخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، فمن ردّ المتشابه إلى الواضح المحكم فقد اهتدى، وإن عكس فقد ضلّ ولهذا قال تعالى﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ أي فمن كان في قلبه ميلٌ عن الهدى إلى الضلال فيتبع المتشابه منه ويفسره حسب هواه...لا يعلم تفسير المتشابه منه ومعناه الحقيقي إلا الله وحده... »..(الصابوني، د.ت. ص184).

- وقوله تعالى:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف:53] وأورد ابن كثير في تفسير هذه الآية « أي ما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار... وقال الربيع: لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ...»..(ابن كثير، 2007. ج3، ص303).

ومعنى التأويل في القرآن الكريم إنما هو أحد ثلاث:

- الأول: بمَعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير الطبري وأمثاله من المفسرين.

- الثاني: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كتأويل ما أخبر الله به عن ذاته العليّة، وصفاته، وما أخبر به عن اليوم الآخر؛ إنما هي أخبار حقائق كائنة.

- الثالث: التأويل (المذموم) هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهو الذي عناه أكثر المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وإنما لجأوا إليه مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقين في زعمهم؛ وهذا زعم باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد، نحو: تأويل اليد بالقدرة. وفي هذا ربما يكون هناك وقوع في المحظور من حيث لا يدري هؤلاء المأوّلون؛ فهم حينما ينزهون الله على أن تكون له يد وبالتالي مماثلة البشر، فتجدهم يفسرونها بالقدرة؛ فهل خفي على هؤلاء أن للبشر قدرة أيضا.(جميل زينوا، موقع).

في حين جعل ابن عباس رضي الله عنهما: التفسير على أربعة أنواع:

«- فتفسير لا يعذر أحد في فهمه (كمعرفة الحلال والحرام).

- وتفسير تعرفه العرب من لغاتها (كمعنى الإله: وهو المعبود).

- وتفسير يعلمه الراسخون في العلم (كمعنى الاستواء: العلو).
- وتفسير لا يعلمه إلا الله (كمعرفة كيفية الذات والصفات)».(جميل زينوا، موقع).

ب-في الحديث النبوي الشريف:

روى ابن عمر- رضي الله عنه- أن النبي – صلّى الله عليه وسلّم- دعا لابن عباس، فمسح رأسه، وتفل في فيه، وقال:« اللهم فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل»(العسقلاني،1379ه. ج1، ص205).فصار ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فقيها، وإمامًا يُقتدى به في التّفسير.

جـ في كلام العرب:

ومنه قول الأعشى :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ، تَأَوُّلُ حُبِّهَا تَأَوُّلُ رِبْعِيِّ السِّقَابِ، فَأَصْحَبَا

« قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَأَوُّلُ حُبِّهَا أَيْ تَفْسِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ أَيْ أَنَّ حُبَّهَا كانَ صَغِيرًا فِي قَلْبِهِ فَلَمْ يَزَلْ يَثْبُتُ حَتَّى أَصْحَبَ فَصَارَ قَدِيمًا كهَذَا السَّقْبِ الصَّغِيرِ لَمْ يَزَلْ يَشِبُّ حَتَّى صَارَ كَبِيرًا مِثْلَ أُمِّهِ وَصَارَ لَهُ ابْنٌ يَصْحَبُهُ. وَالتَّأْوِيلُ: عِبَارَةُ الرُّؤْيَا .وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ .وَآلَ مَالَهُ يَئُولُهُ إِيَالَةً إِذَا أَصْلَحَهُ وَسَاسَهُ .وَالِائْتِيَالُ: الْإِصْلَاحُ وَالسِّيَاسَةُ».(ابن منظور، 2002. مادة"أول").

2-3-اصطلاحا:

يعدّ مصطلح(التأويل) من المصطلحات التي أثارت جدلا واسعا في أوساط العلماء والباحثين؛ وخاصة منهم المتخصصين في العلوم الدينية والشرعية، فمنهم من كان يطابق بين التأويل والتفسير، ومنهم من كان يرى فيه الحقيقة التي يؤول لها الخبر، وفريق آخر يريد به الرجوع إلى قصد المتكلم ومراده، وهناك من يفرق بين التأويل والتفسير على أن الأول: هو تفسير باطن اللفظ، والثاني: بيان وضع اللفظ إما حقيقة وإما مجازا؛ وهذا ما ذهب إليه الثعلبي، إذْ قال:« التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، والتأويل تفسير باطن اللفظ»..(موسوعة ويكيبيديا، موقع).

3-التأويل في الفكر العربي:

3-1-التأويل عند المفسرين وعلماء القرآن:

ا- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:

لقد أعطى الطبري مصطلح(التأويل) حيزا كبيرا، وأهمية بالغة، حيث أنه كان يفتتح تفسير كل آية من كتاب الله عزّ وجلّ بقوله:" القول في تأويل قوله تعالى" ثم يأخذ في التفسير، وقد جاء في مقدمته أن تأويل جميع القرآن على ثلاثة أوجه(العك، 1986. ص57).

- أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثراللهبعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه.
- والثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيهصلى الله عليه وسلمدون سائر أمته، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة، فلا سبيللهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله .
- والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيتهوإعرابه.(الطبري، 2000. مقدمة الكتاب).

ب- بدر الدين الزركشي:

يرى أن التأويل هو:« صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه فالمفسّر ناقل، والمؤوّل مستنبط، وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم».(لزركشي،1988. ص166).فالتأويل عنده ترك المعنى الظاهر من

المبنى والبحث في معناه الباطن؛ أيْ: أن المؤول يقوم بالاستنباط؛ ممّا يوحي بذل المزيد من الجهد الفكري للوصول إلى المعنى المقصود من وراء الظاهر من المباني المُستَخْدمة.

وفي العصر الحديث ظهرت حركات إسلامية ذات نزعة فردية، تبنت مفهوما جديدا للنص القرآني، كما ظهر مفكرون لهم وجهات نظر مغايرة للمألوف، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد عبده، وطه حسين، ومحمد عمارة، وعلي حرب، ومحمد أركون...

ا-محمود محمد طه:

يعتبر من أشهر الدعاة إلى التأويل؛ على اعتبار أنه الوحيد من كل دعاة التجديد والتنوير الذي أصبغ على أفكاره صفة التنظيمية فأنشأ جماعة (الإخوان الجمهوريين) التي انتشرت في السودان منذ منتصف القرن الماضي. كما ربط في تأويله النص الديني وربطه بالحياة العامة فهو رجل دين ينظر للحياة الحديثة من داخل الدين. ويتحدث عن رؤيته الحديثة في شأن الدولة وسياستها واقتصادها وحكمها من منظور تأويلي تجديدي لاقى استحسان العديدين في الاوساط التنويرية ولكنه أيضا قوبل باستهجان وغضب الكثيرين في الدوائر الدينية الرسمية مثل الأزهر ورابطة العالم الإسلامي.(موسوعة ويكيبيديا، موقع).كنماذج عن هذه الفترة الزمنية؛ نتعرض لمفهوم التأويل عند:

ب-نصر حامد أبو زيد:

لقد عدّ نصر حامد أبو زيد التأويل «حركة بالشيء أو الظاهرة إما في اتجاه الأصل بالرجوع، وإما في اتجاه الغاية والعاقبة والسياسة، لكن هذه الحركة ليست مادية، بل هي حركة ذهنية عقلية في إدراك الظواهر».(أبو زيد،1994. ص230). فالأمر في حركية العملية- تأويل الكلام- عنده سيان؛ فسواء أعدنا إلى الأصل، أم اتجهنا مباشرة نحو الغاية والهدف؛ فالمؤول يتدبّر الكلام ويقدّره بالرجوع إلى المعاني الخفية التي لا تظهر إلّا بإعمال العقل.

3-2-التّأويل عند النّحاة:

على الرغم من الممارسة الفعلية للتأويل في الدرس النحوي، والتي تتجلى بوضوح في مظاهر شتى، نحو: الحذف، وصوغ المصدر، والتقدير في الجمل والمفردات، والاستتار، والضرورة، والزيادة... إلا أن النّحاة لم يتطرقوا لتعريف هذا المصطلح؛ فالمتأمل للكتب التراثية النحوية على كثرتها وتنوعها؛ لا يكاد يجد تعريفًا مستقلًا لمصطلح (التأويل)؛ عدا ما أشار إليه ابن هشام عندما استخدم مصطلح(التّأويل) في عنوان كتابه الموسوم بـ:(إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل) والذي خصصه لقضايا صرفية بحتة، ولا علاقة له بقضايا الإعراب وتراكيب الكلام.(بسيوني،2017. ص637-748). أو ما نقله السيوطي في كتابه(الاقتراح) عن ابن حيان، فقال:«التّأويل إنّما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول. أمّا إذا كانت لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلّا بها فلا تأول».(السيوطي،2013. ص87). والمقصود من وراء ذلك هو صرف الكلام عن شكله الظاهر إلى وجوه أخرى غير حسّية؛ تحتاج إلى إعمال الذهن والتفكير والتدبر؛ حتى يوافق الكلام القاعدة النحوية.

ونجد "علي أبو المكارم" من المحدثينيعرّفه في كتابه(أصول التفكير النحوي) على أنّه«تبيين النص بصورة تجعله متفقا مع القواعد المتبعة ومن هنا اتخذ التأويل النحوي مفهومه في التراث النحوي، وأصبح يطلق على الأساليب المختلفة التي تهدف إلى اسباغ صفة الاتساق على العلاقة بين النصوص والقواعد، وصار يعني صب ظواهر اللغة المنافية للقواعد في قوالب هذه القواعد.».(بسيوني،2017. ص637-748). ويعرفه محمد عيد في كتابه (أصول النحو العربي) أنّه «صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج إلى تقدير وتدبر.».(عيد، 1978. ص185).

ويذهب غازي طليمات في كتابه (أثر التأويل النحوي في فهم النص) إلى أنّ التأويل النحوي يعني«النظر فيما نقل من فصيح الكلام مخالفا للأقيسة والقواعد المستنبطة من النصوص الصحيحة، والعمل على تخريجها وتوجيهها لتوافق بالملاطفة والرفق هذه الأقيسة والقواعد، على ألا يؤدي هذا التوجيه إلى تغيير القواعد أو زعزعة صحتها واطرادها.».(بسيوني، 2017. ص637-748). فالتأويل عند النحاة هو«خروج الكلام عن مقتضى القاعدة، لأن الكلام العربي لابد أن على هيئة نموذج معروف، وطبقًا لقواعد محددة لا شذوذ فيها، ولا تناقض؛ فإذا جاء المبتدأ في غير موضعه من الخبر، أو كان الاسم منصوبًا بلا ناصب ملفوظ فهناك حاجة ماسة للبحث عن العلل، ولذا لجأوا إلى تأويل النص تأويلًا عقليًا، أيْ: أضافوا إليه ما ينقصه أو حذفوا منه ما زادوا عليه أو أضمروا ما لابد من وجوده.».(بسيوني، 2017. ص637-748).

3-3-أسباب التأويل النحوي:

- العامل النحوي؛
- كثرة الأوجه الإعرابية(التوجيه)
- الخلاف النحوي؛
- موافقة القواعد النحوية الأولى؛
- تحديد الشواهد المعتمدة في التقعيد.(بسيوني، 2017. ص637-748).

3-4-مظاهر التأويل النحوي(وسائله):

أ-الحذف والتقدير:

« يبدو أن اصطحاب الحذف والتقدير أمر مطرد في نحونا العربي، بحيث لا يخلو منهما موضع إعرابي تعددت فيه الوجوه الإعرابية؛ إذْ الغالب على النحو أن يقدر المحذوف ليقوم به الإعراب، ويتفق مع القاعدة التي قعد لها، فبين الحذف والتقدير تلازم فالحذف ليس إلا تقدير ما لا وجود له في اللفظ، كما أنّ التّقدير-في مجله الرئيسي- ليس إلا حذف بعض أجاء التركيب.».(بسيوني، 2017. ص637-748). فالحذف« إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل.».(بسيوني، 2017. ص637-748). ويكون ذلك؛ لطلب الخفة على اللسان، ولاتساع الكلام والاختصار، وأنه لابد أن يكون المحذوف معلومًالدى السامع، وأنه يفطن إليه لدلالة الكلام عليه.« وقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف والحركة. وليس شيء من ذلك إلا من دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته.».(ابن جني،2011.ج2، ص362).

-حذف الجملة، نحو:

جملة القسم، نحو قولنا:" واللهِ لا فعلتُ" أو "تاللهِ لا فعلتُ"؛ وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقي ما يدل على الجملة المحذوفة (الجار والمجرور). أو نحو قولنا:" إياك" لمن أردنا تحذيره، أيْ: احفظ نفسك.

جملة الشرط، نحو:" اجتهد وإلّا ترسبْ"؛ أيْ: وإلّا تجتهدْ ترسبْ.

جملة جواب الشرط، نحو:" أتنجحُ الطالبةُ؟" فتقول:" إنْ تجتهدْ"؛ أيْ: إنْ تجتهدْ تنجحْ.

-حذف الاسم، نحو:

حذف المبتدأ في قولنا: "احذر اللئيم المتمردُ"؛ فـ:(المتمردُ) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو.

حذف الخبر في قولنا:" لولا المساعدةُ لضاع الفقير"؛ فالمبتدأ (المساعدةُ) خبره محذوف تقديره: كائنةٌ أو موجودةٌ.

حذف المخصوص بالمدح والذمّ، ففي قول الحقّ تعالى:﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[الذاريات:48] أيْ: فنعم الماهدون نحن.

حذف الفاعل في قول الباري سبحانه وتعالى:﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[هود:44] والتقدير: وقضى الله الأمر.

حذف النعت، نحو قوله تعالى:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف:76]. أيْ كل سفينة صالحة، والقرينة: أن أعيبها.

-حذف الفعل:

في حالة ما إذا كان الفاعل مرفوعًا به مشغولًا عنه، نحو: قول الحق تعالى:﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[الانشقاق:1]؛ فـ:(السماءُ) فاعل لفعل محذوف، والتقدير: إذا انشقت السماء انشقت.

ويحذف في الجواب على النفي، نحو قولنا:" بلى محمد"؛ لمن قال: ما قام أحد. والتقدير بلى قام محمد.

-حذف الحرف:

يكون حذف الحرف في الكلام على« ضربين: أحدهما حرف زائد عن الكلمة مما يجيء لمعنى، والآخر حرف من نفس الكلمة.».(ابن جني، 2011، ج2، ص383). نحو: حذف حرف العطف في قول ابن الأعرابي:

وَكَيْفَ لَا أَبْكِي عَلَى علاّتِي***صَبَائِحِي غَبَائِقِي قِلَاتِي

أيْ: صَبَائِحِي وغَبَائِقِي.(عيد، 1978. ص165).

وحذف الفاء في قول حسان بن ثابت:

منْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا*** والشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ مِثْلَانِ

أيْ: فالله يشكرها.(سيبويه، د.ت. ج3، ص65).

وحذف همزة الاستفهام في:

ثمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا*** عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

أيْ: أتحبها؟(سيبويه، د.ت. ج3، ص166).

ب-الاستتار:

الأول: الضمير المستتر هو: «الذي يُقدر في الذهن ولا يلفظ.»(قلاتين 2006. ص129). وهو ما لا يظهر في صورة معينة سواء أكان نطقًا أم كتابةً، أو كان واجبًا أو جائزًا؛ بمعنى أنّه ليست لهصورة في اللفظ، وهو يعود على ظاهرٍ قبله- لفظًا أو تقديرًا- ويأتي دائمًا مرفوعًا؛ فلا يكون للنصب ولا للجرّ؛ نحو قولنا:" أهدي إليك سلامي"؛ فالفعل المضارع(أهدي) يشير إلى أن الفاعل هو ضمير المتكلم(أنا). وفي قولنا:" صاحبْ المتخلقين"؛ ففعل الأمر(صاحِبْ) يشير إلى أن الفاعل هو ضمير المخاطب (أنت).

قسما المستتر: المستتر قسمان، مستتر وجوبًا مستتر جوازًا.

-المستتر وجوبًا:

هو« ما لا يخلفه اسم ظاهرٌ ولا ضمير منفصلٌ.»(النادري، 2001. ص145). ويكون مع:

فعل الأمر المخاطب به المفرد المذكر، نحو:"اكتب".

الفعل المضارع المبدوء بالهمزة، نحو:" أهدي".

الفعل المضارع المبدوء بالنون، نحو:" نحسنُ".

الفعل المضارع المبدوء بالتاء الدالة على المخاطب، نحو:" تشرحُ".

- المستتر جوازًا:

هو«ما يمكن أن يخلفه اسم ظاهرٌ أو ضميرٌ منفصلٌ.»(النادرين 2011، ص145).، ويكون مع:

الفعل المضارع المبدوء بالياء، نحو:" الطالب يكتب"؛ ففاعل(يكتب) مستتر تقديره: هو؛ غير أنه يمكن التصريح به، فنقول: "يكتب الطالب".

الفعل المضارع المبدوء بالتاء الدالة على المفردة الغائبة، نحو:" خديجةُ تنتقي وردةً"؛ ففاعل(تنتقي) مستتر تقديره: هي؛ غير أنه يمكن التصريح به، فنقول: "تنتقي خديجةُ وردةً".
الفعل الماضي، نحو:" الطالبُ نجحَ في الامتحان"؛ ففاعل(نجحَ) مستتر تقديره: هو؛ غير أنه يمكن التصريح به، فنقول: "نجحَ الطالبُ في الامتحان".
الثاني: اضمار(أنْ):
- جوازًا بعد لام التعليل، نحو:" خرج في نزهة ليستريحَ"؛ فالفعل (ليستريحَ) فعل مضارع منصوب بأن المضمرة جوازًا بعد لام التعليل، ويجوز أن تظهر، فنقول:" خرج في نزهة لأن يستريحَ"؛ والجملة بعد لام التعليل تؤل بمصدر مجرور بلام التعليل.

- وجوبًا بعد؛ لام الجحود، وفاء السببية، وواو المعية، وحتى، نحو:" ما كان السارق ليهنأَ بمسروقاته" و" لم يجتهد فينجح" و" لا تنه عن خلق وتأتي مثله" و" هلا عملت صالحًا حتى تنتفعَ". وتعرب الأفعال (يهنأَ وينجحَ وتأتيَ وتنتفعَ) أفعالًا مضارعة منصوبة بأن المضمرة وجوبًا بعد: لام الجحود، وفاء السببية، وواو المعية، وحتى على الترتيب.

ج- صوغ المصدر(المصدر المؤول):

هو«مصدر معنوي يقدر مكان فعل من لفظه يقع بعد حرف مصدري» أيْك هو الفعل الذي يمكن أن يؤول مع إحدى الحروف المصدرية- وأهمها: أنْ، أنّ، لن، كي، لو، ما المصدرية-؛ نحو:
أنْ تجتهدوا؛ تقديره: اجتهادكم؛
بلغني أنّك مكافح؛ تقديره: بلغني كفاحك؛
اجتهد لكي تنجحَ؛ تقديره: اجتهد للنجاح؛
وددت لو تفلحُ؛ تقديره: وددتُ فلاحك؛
أكافح ما دمت حيًّا؛ تقديره: أكافح مدة حياتي.

د-التضمين:

قال عنه سيبويه:« ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام.»(سيبويه، د.ت. ج1، ص57). وعرّفه عباس حسن في كتابه(النحو الوافي) بقوله:« وهو أن يؤديَ فعل-أو في ما معناه- مُؤَدَّى فعل آخر أو في ما معناه؛ فيُعطَى حكمه في التعدية واللزوم.»(عباس، د.ت. ج2، ص129). بمعنى «أن يستعمل فعل أو ما في معناه في مكان فعل آخر، أو في ما معناه، وذلك قصد تأدية هذا الفعل للمعنى الذي كان يؤديه الفعل المستغنى عنه، وبهذا يأخذ الفعل الجديد حكم الفعل الأول فيصير المتعدي لازمًا واللازم متعديًا.»(هني، د.ت. ص88). نحو:" لا يعزمون الصومَ" فالفعل(عزم) لازم ولا يتعدى إلّا بحرف الجرّ؛ لكنّه في هذا المثال صار متعديًا؛ فنصب المفعول به(الصومَ) بنفسه؛ لأنّه تضمن معنى الفعل المتعدّي(نوى).
وعلى العكس من ذلك الفعل(سمع) متعدٍ بنفسه، ولكنّه بتضمنه معنى الفعل(استجاب) الذي لا يتعدى إلّا بحرف الجرّ في قولنا:" سَمِعَ اللهُ لمن حمده" صار متعديًا بحرف الجرّ(اللام) في (لِمن).
وفي قول الحقّ تبارك وتعالى:﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف:28]. الفعل(تعدو) في هذه الآية تعدى بحرف الجرّ(عن) مع أنّه متعدٍ بنفسه؛ لأنه تضمن معنى فعل لازم وهو (تنصرف).(هني، د.ت. ص89).

4.خاتمة:

إنّ المتأمل للدرس النحوي، يتجلى له بوضوح؛ أنّ التأويل إنّما وُجد في النّحو جراء نظرة عقلية ثاقبة؛ مجاراة لِمَا كان يجري في العلوم الأخرى، وخاصة الدينية منها هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية وُجد للبحث عن تبريرات وعلل؛ لتوافق النصوص اللغوية من عصر الاحتجاج الأصول(القواعد). فالنحوي يحتاج إلى التأويل عندما يكون في النص خروج عن النسق اللغوي المتعارف عليه؛ فيتدخل التأويل للبحث عن قالب لغوي يُصبّ فيه هذا النص؛ بحيث يكون موافقًا للقواعد الموضوعة قبلًا.

فالتأويل من الظواهر النحوية التي تكتسي أهمية بالغة؛ لِمَا له من أثر في التمايز الحاصل بين المدارس النحوية المختلفة؛ ممّا ساعد وبشكل كبير في توسعة قواعد اللغة؛ لاستيعاب الجديد، كما كان له فضل من قبل في نشأة علم النحو. ومن هنا تتحلى أهمية هذه الظاهرة في الدرس النحوي؛ فكما هو معلوم أن الكلام العربي مبني وفق نظام قواعدي معلوم؛ فإذا حدث تغيير في هذا النظام؛ استدعي التأويل، فعمل الفكر في تقدير المحذوف، أو اظهار المستتر، تبيين التراكيب النحوية إذا فُهمت على غير معناها الصحيح.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، جمال الدين بن أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري. تح: كامل أحمد حيدر.(2002). لسان العرب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني الحنفي، علي بن محمد بن علي الحسيني، تح: نصر الدين تونسي.(2007). التعريفات. القاهرة: شركة القدس للتصدير.
- الصابوني، محمد علي.(د.ت). صفوة التفاسير. الجزائر: دار الضياء.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. (2007). تفسير ابن كثير، الجزائر: دار نور الكتاب.
- زينوا،محمد جميل.(2021) (معنى التأويل وأنواعه في القرآن الكريم) https://www.alukah.net/sharia/0/139755/#ixzz78EedRIa2 . يوم:2021/10/06 على الساعة:15:30.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي.(1379ه). فتح الباري في شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
- موسوعة ويكيبيديا.(2021).التأويل عند أهل السنة. https://ar.wikipedia.org/wiki بتاريخ: 2021/10/60، على الساعة:08:30 صباحا.
- العك، خالد بن عبد الرحمن.(1986). أصول التفسير وقواعده. دار النفائس.
- الطبري،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، تح: أحمد محمد شاكر.(2000). جامع البيان عن تأويل أي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الزركشي، بدر الدين، تح: أبو الفضل إبراهيم.(1988). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار الجيل.
- أبو زيد، نصر حامد.(1994). مفهوم النص دراسة في علوم القرآن. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد العزيز مطر، سماسم بسيوني.(2017). "التأويل أسبابه ووسائله في النحو العربي" حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد:32، ص(637-748).
- السيوطي، جلال الدين ، تح: حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل. (2013). الاقتراح في علم أصول النحو. القاهرة: مكتبة الآداب.
- عيد، محمد. (1978). أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث. القاهرة: عالم الكتب.
-ابن جنّي، أبو الفتح عثمان ، تح: محمد علي النجار.(2011). الخصائص. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- قلاتي،إبراهيم.(2006). قصة الإعراب. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- النادري، محمد أسعد. (2011). نحو اللغة العربية. لبنان: شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون. (د.ت). الكتاب. بيروت: دار الجيل..
- حسن، عباس. (د.ت). النحو الوافي..
- هني، خير الدين. (د.ت). المفيد في النحو والصرف والإعراب.